

السيرة النبوية

كما جاءت في الأحاديث الصحيحة

محمد الصوياني

الجزء الثالث

ح) مكتبة العبيكان، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصوياني، محمد

السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة. / محمد الصوياني.-
الرياض، ١٤٢٩هـ.

٤ مج.

٢٩٦ ص؛ ١٦,٥ × ٢٤ سم.

ردمك: ٤-٥٢٦-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨ (مجموعة)

٥-٥٢٩-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨ (ج٣)

أ. العنوان

١. السيرة النبوية

١٤٢٩ / ٣٦٦٨

ديوي ٢٣٩

رقم الإيداع: ١٤٢٩ / ٣٦٦٨

ردمك: ٤-٥٢٦-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨ (مجموعة)

٥-٥٢٩-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨ (ج٣)

الطبعة الثالثة

١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

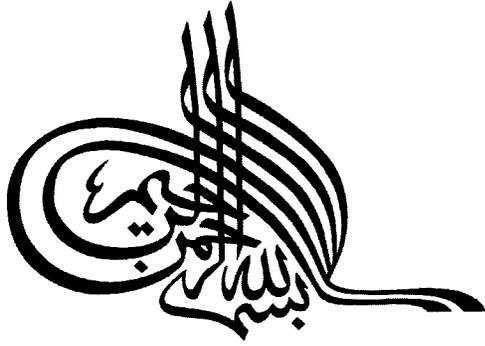
التوزيع: مكتبة العبيكان
Obayan

الرياض-العلياء-تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة
هاتف ٤١٦٠٠١٨ - ٤٦٥٤٤٢٤ / فاكس ٤٦٥٠١٢٩
ص.ب. ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

الناشر: مكتبة العبيكان
Obayan للنشر

الرياض-شارع العليا العام-جنوب برج المملكة
هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ - ٢٩٣٧٥٨١ / فاكس ٢٩٣٧٥٨٨
ص.ب. ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي» أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.



معركة ثانية على أرض بدر

بعد غزوة أحد اغترب أبو سفيان (قائد قريش) بما حدث، فصاح بالنبى ﷺ متحدياً: (موعدك موسم بدر حيث قتلتم أصحابنا)^(١)

كان أبو سفيان ومن معه يريدون أن يملأوا آبار بدر بأجساد المؤمنين، مثلما حشر المؤمنون جثث طواغيت قريش في تلك البئر المنتنة على أرض بدر. حلم لقريش، فهل يتحقق..؟

كان أبو سفيان يريد استغلال مناسبة إقامة موسم بدر، وهو موسم للعرب يجتمعون فيه تجارةً وأدباً وشعراً، لكن أبا سفيان أراد أن يجعل للحرب نصيباً في هذا الموسم.. حرب تستعيد بها قريش بعض ما تناثر من هيبتها.. حرب يشهدها العرب جميعاً.

فليكن لأبي سفيان ما يريد.. ها هو ﷺ عندما اقترب موعد إقامة سوق بدر يستعدّ للسفر، لا للحرب فقط، بل للحرب والتجارة.. متجاهلاً كل صيحات المخذلين والجنباء في المدينة، الذين يقولون للنبى ﷺ وأصحابه: (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم). فقد ردّ ﷺ على أولئك المخذلين والجنباء بعزم شاركه به أصحابه رضي الله عنهم فقالوا: (حسبنا الله ونعم الوكيل). فامتدح الله هذا الإيمان المتجذّر وهذه الثقة الراسخة بالله، فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(٢)

ف (قد كان أبو سفيان قال للنبى ﷺ: موعدك موسم بدر، حيث قتلتم أصحابنا. فأما الجبان فرجع، وأما الشجاع فأخذ أهبه القتال والتجارة فأتوه)^(٣).

وصل الشجعان إلى أرض بدر، فرحبت بهم وذكرتهم بنصرهم.. كانت أرض بدر أرضاً للانتصار.. هكذا هي في عقول وقلوب المؤمنين، أمّا بالنسبة لقريش فهي تذكرهم بالهزيمة. لذا لم يستطع أبو سفيان وجيشه مغادرة مكة، ولا الحركة منها،

(١) حديث صحيح مر معنا عند الحديث عن غزوة حمراء الأسد..

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٧٣).

(٣) حديث صحيح مر معنا عند الحديث عن غزوة حمراء الأسد وهذا هو آخر ذلك الحديث.

فالتشاؤم يعيقهم عن الحركة.. يشلهم عن الوفاء بالوعد والتحدّي. أبو سفيان وكبار القوم خائفون.. يخشون أن تحشر جثثهم في بئر أخرى فلم يحضروا.

وهكذا انتهت غزوة بدر الثانية قبل أن تبدأ، فليس على الساحة سوى المؤمنين.. إنهم يتلفتون فلا يرون أحداً.. يذرعون أرض بدر.. يمشطونها بحثاً عن جيش الوثنيين، فلا يرون أحداً. وهكذا انهزمت قريش في معركة هي التي طلبتها، وحددت مكانها وزمانها، أما رسول الله ﷺ وجنده، فقد مالوا بمطاياهم نحو موسم بدر (فأتوه فلم يجدوا به أحداً، وتسوقوا فأنزل الله: ﴿فَأَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلِ لِّمَّ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾^(١)، فطلب ﷺ من أصحابه أن يكتبوا هذه الآية وأن يجعلوها بعد الآية السابقة، لتقرأ هكذا: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(٢) فأنقلبوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلِ لِّمَّ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾^(٣).

فتفضّل سبحانه على نبيه ﷺ وصحابته رضي الله عنهم بانتصار لم ترق فيه قطرة دم، فباعوا واشتروا وكسبوا ودعوا إلى التوحيد، وربما كسبوا أتباعاً ومؤمنين جديداً ينشرون التوحيد في قومهم، أو يهاجرون، ثم عادوا شوقاً إلى أهلهم.. شوقاً إلى المدينة. المدينة التي أصبحت عادة مكتنزة بالجميل والجديد، وأصبح هواؤها صافياً نقياً بعد أن تطهر من ذلك الوباء الذي لوّث الصحة والعقول، وأنزف الدماء والأموال. المدينة الآن نقية لأنه قد نزل:

تحريم الخمر

الخمر التي تؤرق بعض الصحابة ويحيرهم أمرها.. كانت تصنع في المدينة من خمسة أطعمة هي (التمر والعسل والبر والشعير والعب) حيث يقول ابن عمر رضي الله عنه: (نزل تحريم الخمر، وإن في المدينة يوماً لخمسة أشرية)^(٤) (نزل تحريم الخمر وهي من خمسة: من العنب، والتمر، والعسل، والحنطة، والشعير)^(٤).

(١) حديث صحيح مر معنا عند الحديث عن غزوة حمراء الأسد وهذا هو آخر ذلك الحديث.

(٢) سورة آل عمران: (١٧٣ - ١٧٤).

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٤٦١٦).

(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٤٦١٩).

وكان نزول تحريمها لأسباب مازالت ممتدة حتى الآن.. ما زالت شنيعة وخطيرة حتى الآن، وما جاء الإسلام إلا لتطهير المجتمع من مثل هذه الأسباب التي تهدد أخوة الإيمان وودّه ووصاله.

من هذه الأسباب قول أحد الصحابة: (إنما نزل الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار، شربوا، فلما ثمل القوم عبث بعضهم ببعض، فلما أن صحوا جعل الرجل يرى الأثر بوجهه، ورأسه، ولحيته، فيقول: صنع بي هذا أخي فلان - وكانوا أخوة ليس في قلوبهم ضغائن - والله لو كان بي رؤوفاً رحيماً ما صنع هذا بي.

حتى وقعت الضغائن في قلوبهم، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾^(١)

ويقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: (صنع رجل من الأنصار طعاماً فدعانا، فشربنا الخمر قبل أن تحرم، حتى انتشينا، فتناخرنا، فقالت الأنصار: نحن أفضل. وقالت قريش: نحن أفضل.

فأخذ رجل من الأنصار لحي جزور، فضرب به أنف سعد، ففزره، وكان أنف سعد مفزراً، فنزلت آية الخمر: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾^(٢) عن هذه الخمر.

هل أنتم منتهون عن هذه الخمر التي تعبت بالعقل، وتمحو اللياقة الأدبية. إن في الخمر لذة لاشك في ذلك، ولولا ما فيها من نشوة ما شربها أحد، لكنها تسبب الصداع والغثيان بعد تلك النشوة، وهي تحيل شاربها إلى إنسان مريض.. وقح يتفوه بكل بذيئة، ويفشي كل ما ينبغي إخفاؤه من رغبات ونزوات تكدر النديم والجلس والصاحب

(١) سورة المائدة: الآية ٩٠.

(٢) حديث صحيح رواه مسلم ٤ - ١٨٧٦ والبيهقي في السنن (٢٨٥/٨).

والقريب.. الخمر يدمر ذلك التحكم المهذب، الذي يحفظ للإنسان شخصيته ووقاره واحترامه.. وإنسانيته وكرامته.

بالخمر يتحوّل السكران إلى حيوان يهذر بكل قبيح، وينزو على كل محرم. بالخمر يختلط الخطأ بالصواب، والحلال بالحرام، والأدب باللاأدب، أما

تحريم الميسر

فالميسر وهو (القمار) مرض آخر من أمراض التخلف واللامسؤولية، فالإنسان الذي يكّد ويكدح من أجل تحصيل مال، وبعد أن يجمعه يقف على شرفة جبل تطل على بحر، فيرمي كل ما جمعه في سنين في ذلك البحر. الإنسان الذي يفعل ذلك أبسط ما يقال عنه إنه: مجنون. والمجنون لا يُترك ولا يُسمح له أن يؤذي نفسه ولا غيره.

الميسر يدمر الأسر والدول والأخلاق.. الخمر والميسر نوعان من أنواع الجنون، ورسالة الإسلام جاءت لإيقاظ العقول.. توقدها تحضراً ورقياً وتمدناً، فكيف تلقى الصحابة هذا الخبر..؟ كيف استقبلته قلوبهم ونفوسهم..؟ كيف استقبله أولئك الذين كانوا لا يصبرون عنها..؟

تعالوا إلى بيت أم سليم وأبي طلحة حيث كان: أبو دجانة، وأبو عبيدة، ومعاذ بن جبل، وسهيل بن بيضاء، وأبي بن كعب في ضيافة أبي طلحة رضي الله عنهم. كانوا ندامى يحتسون أقداحاً من الخمرة، وكان ساقى أولئك الندامى الأخيار ابن أم سليم.. أنس بن مالك الذي يقول: (بينما أنا أدير الكاس على أبي طلحة، وأبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وسهيل بن بيضاء، وأبي دجانة، «وأبي بن كعب» حتى مالت رؤوسهم من خليط بسر وتمر، «فاذا مناد ينادي، قال: أخرج فانظر»

فسمعنا منادياً ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت.

«فما قالوا: حتى ننظر ونسأل، فقالوا: يا أنس، اكف ما بقي في إنائك. فوالله ما عادوا فيها»

«فقال لي أبو طلحة: اخرج فأهرقها. فهرقتها» «يا أنس، قم إلى هذا الجرار فاكسرها. فقمتم إلى مهراس لنا فضربته بأسفله حتى تكسرت». فما دخل علينا داخل

ولا خرج منا خارج، حتى أهرقنا الشراب، وكسرنا القلال، وتوضأ بعضنا، واغتسل بعضنا، وأصبنا من طيب أم سليم، ثم خرجنا إلى المسجد، وإذا رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾^(١)، فانتهى الصحابة بعد سماعهم لهذه الآية في مسجد النبي ﷺ.. رغم إدمان بعضهم لها، والمدمن يحبس في مصح أحياناً كي يتخلص ويعالج من إدمانه، لكن إيمان الصحابة وتربية النبي ﷺ لهم كانت من العمق والسمو والامتداد بحيث يتلاشى أمامها أي إدمان.

تخلّصت المدينة من أمّ الخبائث، وأم الأمراض والمشاكل، لكن ماذا لو استفاد البعض من الخمرة في غير الشرب.. في البيع والشراء مع غير المسلمين.. في العلاج مثلاً؟.. أما العلاج فلا تصلح الخمر أبداً لأنها مرض، فالنبي ﷺ يقول: (إنها ليست بدواء، ولكنها داء)^(٢) والطب الحديث يؤيد ذلك ويحذر منها^(٣).

أمّا عن التجارة بالخمر، فقد جاء تاجر خمر من الصحابة رضي الله عنهم يقال له (كيسان) (كان يتجر في الخمر زمن رسول الله ﷺ، وأنه أقبل من الشام ومعه خمر في الزقاق -يريد بها التجارة- فأتى بها رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني جئتك بشراب طيب. فقال رسول الله ﷺ: يا كيسان، إنها قد حرمت بعدك، قال: فأبيعهما يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: إنها قد حرمت، وحرّم ثمنها، فانطلق كيسان إلى الزقاق، فأخذ بأرجلها ثم هرقها)^(٤). ثم قال ﷺ: (إن الله تعالى حرّم الخمر، فمن أدركته هذه الآية وعنده منها شيء، فلا يشرب، ولا يبيع)^(٥).

(١) البخاري ٢٤٦٤ ومسلم ١٩٨٠ والمالك ١٥٤٤ والزوائد لهم واللفظ للبيهقي ٨-٢٨٦.

(٢) حديث صحيح. صحيح الجامع (٤٧٨/١).

(٣) شاهدت مقابلة مع الطبيب الشهير OZ وقد سألته مريضة عن وضع مادة الكحول على الجرح فقال لها: المادة التي لاتضعينها على عينك احذري من وضعها على جرحك، ثم بين أن الكحول يقتل الجراثيم، لكنه يقتل عشرة أضعافها من المضادات الجسدية.

(٤) سننه صحيح رواه أحمد ٤-٣٢٧ حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ابن لهيعة عن سليمان بن عبد الرحمن، عن نافع بن كيسان أن أباه أخبره. نافع صحابي، وسليمان البصري تابعي ثقة التقريب ٢٥٢ وحديث ابن لهيعة صحيح، لأن تلميذه قتيبة ثقة ثبت التقريب ٤٥٤.

(٥) حديث صحيح رواه مسلم ٣ - ١٢٠٥ (باب تحريم بيع الخمر).

وهذا رجل آخر (أهدى لرسول الله ﷺ راوية خمر، فقال له رسول الله ﷺ: هل علمت أن الله قد حرّمها؟ قال: لا. فسار^(١) إنساناً، فقال له رسول الله ﷺ: هل علم أن الله قد حرّمها؟ قال: لا. فقال له رسول الله ﷺ: بم ساررتة؟ فقال: أمرته ببيعها، فقال: إن الذي حرّم شربها حرّم بيعها، قال: ففتح المزادة حتى ذهب ما فيها^(٢) ثم (سئل ﷺ عن الخمر تتخذ خلاً؟ فقال: لا)^(٣).

لا، بهذه الكلمة انتهت علاقة الإسلام بالخمر.. قطيعة وحرب لا هودة فيها ضدها، ليبدأ أولئك المؤمنون بالاستفادة من أوقاتهم التي كانت تسفكها الخمر. انتهت علاقة الإسلام بالخمر، و

انتهت عدة زينب بنت جحش

مرّ على طلاقها من زيد بن ثابت ثلاثة أشهر، أي ثلاث حيضات، والمرأة لا بدّ أن تنتظر ثلاث حيضات حتى تتأكّد من خلوّ رحمها من أي علاقة من زوجها الأول، وتتأكّد من عدم وجود حمل حتى لا تختلط الأنساب، وتتفشّى الأمراض.

يقول سبحانه: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾^(٤).

وبعد أن مرت تلك الأشهر أمر الله النبي ﷺ بالزواج من زينب رضي الله عنها لسبب واحد ذكره الله في القرآن، ونزل به جبريل عليه الصلاة والسلام، فما

سبب زواج النبي ﷺ من زينب

كان الناس في ذلك الوقت يعتبرون الابن بالتبني كالابن الحقيقي، أي أن الابن بالتبني إذا طلق زوجته فهي حرام على أبيه والعكس، فأنزل الله نسخ ذلك الشيء وأبطله بتزويج النبي ﷺ من زينب بنت جحش، التي كانت زوجة لابنه بالتبني (زيد بن حارثة)

(١) أي كلم رجلاً سراً بينه وبينه دون أن يسمع النبي ﷺ. والراوية هي القرية.

(٢) حديث صحيح رواه مسلم (باب تحريم الخمر).

(٣) حديث صحيح رواه مسلم (باب تحريم تخليل الخمر).

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٢٨.

أنزل الله ذلك الأمر بعد أن كان النبي ﷺ يخشى كلام الناس حول ذلك، لكن النبي ﷺ لا يستطيع أن يخفي شيئاً من الوحي ولا القرآن، فإذا نزل الأمر فما عليه سوى السمع والطاعة لربه سبحانه وتعالى، ولذلك يقول أنس: (جاء زيد بن حارثة، فجعل النبي ﷺ يقول: اتق الله وأمسك عليك زوجك).

قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتّم هذه^(١).

زيد يخطب زينب للنبي ﷺ

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: (لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: فاذكرها عليّ).

فانطلق زيد حتى أتاها -وهي تخمر عجبتها- قال: فلما رأيتها عظمت في صدري، حتى ما أستطيع أن أنظر إليها -أن رسول الله ﷺ ذكرها- فوليتها ظهري، ونكصت على عقبي، فقلت: يا زينب، أرسل رسول الله ﷺ يذكرك؟

قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي. فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن^(٢) أي نزل قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾. (وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن)^(٣) لأنه لا يحتاج إلى ذلك، فقد زوّجها الله إياه من فوق سبع سماوات، فكان ذلك تكريماً لها.. فرحاً لها.. حباً لها.

كانت رضي الله عنها تبتهج بذلك (كانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ، تقول: زوجكن أهاليكن، وزوّجني الله تعالى من فوق سبع سماوات)^(٤) وكان في ذلك الزواج تكريم لزيد رضي الله عنه، فقد خصّه الله بذكر اسمه من بين جميع أصحاب النبي ﷺ في القرآن. حقاً لقد كان:

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٧٤٢٠).

(٢) حديث صحيح رواه مسلم (زواج زينب).

(٣) حديث صحيح رواه مسلم (زواج زينب).

(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٧٤٢٠).

زواج زينب فرحاً وتحولاً

في حياة الصحابة والأمة.. أحداث كثيرة في ذلك الزواج.. آداب وتشريعات، ومظاهر سرور صاحبت ذلك الزواج الكريم.

تعالوا نتجوّل في تقاسيم ذلك الفرح المليح.. سنبدأ أولاً ب:

الوليمة والهدايا والمعجزات

يقول أحد الذين حضروا وشاركوا في تلك الوليمة: (ما رأيت رسول الله ﷺ أولم على امرأة من نسائه ما أولم على زينب، فإنه ذبح شاة^(١))، (ما أولم رسول الله ﷺ على امرأة من نسائه أكثر أو أفضل مما أولم على زينب)^(٢) (أطعمهم خبزاً ولحمًا حتى تركوه)^(٣) شعباً.

لم يشارك أنس بن مالك في الأكل فقط، بل ساهم مع أمّه أم سليم رضي الله عنها في زيادة مساحات الفرح.

يقول رضي الله عنه: (أن رسول الله ﷺ أطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار، فخرج الناس وبقي رجال يتحدّثون في البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله ﷺ واتّبعته، فجعل يتتبع حُجْرَ نسائه يسلم عليهن، ويقلن: يا رسول الله، كيف وجدت أهلك^(٤). ويحدّثنا أنس عن هدية أمّه فيقول: (فصنعت أُمّي -أم سليم- حيساً، فجعلته في تور^(٥) «من حجارة» فقالت: يا أنس، اذهب بهذا إلى رسول الله ﷺ، فقل: بعثت بهذا إليك أُمّي، وهي تقرئك السلام، وتقول: إن هذا لك منّا قليل يا رسول الله.

فذهبت بها إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إن أُمّي تقرئك السلام، وتقول: إن هذا لك منّا قليل يا رسول الله. فقال: ضعه. ثم قال: اذهب، فادع لي فلاناً، وفلاناً، وفلاناً، ومن لقيت «من المسلمين» وسمّي رجالاً، قال: فدعوت من سمّي ومن لقيت.

(١) حديث صحيح رواه مسلم زواج زينب.

(٢) حديث صحيح رواه مسلم زواج زينب.

(٣) حديث صحيح رواه مسلم زواج زينب.

(٤) حديث صحيح رواه مسلم زواج زينب.

(٥) إناء. والحيس تمر وسمن وأقط.

قلت لأنس: عدد كم كانوا؟ قال: زهاء ثلاثمائة، وقال لي رسول الله ﷺ: يا أنس، هات التور «وضع النبي ﷺ يده على الطعام، فدعا فيه، وقال ما شاء الله أن يقول» فدخلوا حتى امتلأت الصفة والحجرة، فقال رسول الله ﷺ: ليتحلّق عشرة عشرة، وليأكل كل إنسان مما يليه. فأكلوا حتى شبعوا، فخرجت طائفة، ودخلت طائفة حتى أكلوا كلّهم، فقال لي: يا أنس ارفع.

فرفعت فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت؟ وجلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ جالس، وزوجته مولية وجهها إلى الحائط، فثقلوا على رسول الله ﷺ «فأطالوا عليه الحديث»، فجعل النبي يستحي منهم أن يقول لهم شيئاً «فأخذ كأنه يتهياً للقيام، فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام، فلما قام، قام من قام من القوم، ففقد ثلاثة» فخرج رسول الله ﷺ فسلم على نسائه، «فمشى، فمشيت معه حتى بلغ حجرة عائشة، ثم ظنّ أنهم قد خرجوا، فرجع ورجعت معه، فإذا هم جلوس مكانهم، فرجع، فرجعت الثانية، حتى بلغ حجرة عائشة» ثم رجع «فرجعت»، فلما رأوا رسول الله ﷺ قد رجع ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه، فابتدروا الباب، فخرجوا كلّهم، وجاء رسول الله ﷺ حتى أرخى الستر، ودخل وأنا جالس في الحجرة، فلم يلبث إلا يسيراً حتى خرج عليّ، وأنزلت هذه الآية، فخرج رسول الله ﷺ، وقرأهن على الناس: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبْزِيرٍ (١) إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَقْسِمِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحِيءُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحِيءُ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِرُوا أَرْوَاجَهُ، مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ (٢) (قال أنس: أنا أحدث الناس عهداً بهذه الآيات، وحجبن نساء النبي ﷺ) (٣) بعد هذا الموقف المحرج أمرت نساء النبي ﷺ بالحجاب وكان:

(١) أي لا تتطفلوا تترقبون نضح الطعام ثم تعرضون أنفسكم للدخول دون دعوة.

(٢) حديث صحيح رواه مسلم والزوائد له أيضاً، باب زواج زينب. وأكملت الآية لأن الحديث يقول: إلى آخر الآية بعد كلمة: يؤذي النبي.

(٣) حديث صحيح رواه مسلم وهو جزء من الحديث السابق.

لنزول الحجاب قصة

فقد كان عمر بن الخطاب قبل نزول الحجاب يقترح على النبي ﷺ أن يحجب نساءه. (قال عمر بن الخطاب: قلت لرسول الله ﷺ: لو حجبت عن أمهات المؤمنين، فإنه يدخل عليك البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب)^(١)

وتقول عائشة رضي الله عنها: (أن أزواج النبي ﷺ كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصب وهو صعيد أفلح فكان عمر يقول للنبي ﷺ احجب نساءك فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر ألا قد عرفناك يا سودة حرصا على أن ينزل الحجاب فأنزل الله آية الحجاب)^(٢)

وفي حادثة أخرى كرّر عمر بن الخطاب تلك الأمنية، حيث كان رضي الله عنه أجراً من غيره في البوح بما يضمرة ويضمرة غيره من إجلال لبيت النبوة تقول عائشة: (كنت أكل مع النبي ﷺ حيساً في قعب، فمر عمر، فدعاه، فأكل، فأصابته أصبعه إصبعي، فقال: حس، أو: أوه، لو أطاع فيكن ما رأته عين. فنزل الحجاب)^(٣) ولكن فيما بعد، فالحجاب لم ينزل بعد هذه الأحداث مباشرة. تعالوا نسأل أنس بن مالك: من أعلم الناس بنزول الحجاب؟ قال رضي الله عنه: (أنا أعلم الناس بالحجاب، لقد كان أبي بن كعب يسألني عنه، قال أنس: أصبح رسول الله ﷺ عروساً بزینب بنت جحش، وكان تزوجها بالمدينة، فدعا الناس للطعام بعد ارتفاع النهار، فجلس رسول الله ﷺ، وجلس معه رجال بعدما قام القوم، حتى قام رسول الله ﷺ، فمشى، فمشيت معه، حتى بلغ حجرة عائشة، ثم ظن أنهم قد خرجوا، فرجع ورجعت معه، فإذا هم جلوس مكانهم، فرجع فرجعت الثانية حتى بلغ حجرة عائشة، فرجع فرجعت، فإذا هم قد قاموا،

(١) سنده صحيح رواه ابن جرير ١٠-٢٢٤ حدثنا ابن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، عن حميد عن أنس. حميد تابعي ثقة سمع من أنس، وابن أبي عدي: محمد بن إبراهيم ثقة - التقريب ٤٦٥ وابن بشار هو الثقة محمد بن بشار، التقريب ٤٦٩.

(٢) صحيح البخاري ١-٦٧.

(٣) سنده قوي رواه ابن أبي حاتم ١١-٤٩٠ حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان عن مسعر عن موسى بن أبي كثير عن مجاهد عن عائشة..

فضرب بيني وبينه بالستر، وأنزل الله آية الحجاب^(١)، وكانت هذه الآية تتحدث عن زوجات النبي ﷺ فقط، ثم أنزل الله سبحانه قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَلزَّوْجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَنْهُنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٢).

فرض الحجاب على المؤمنات جميعاً.

وبينما كانت المدينة تعيش فرحاً وتشريعاً يمنح سلاماً في كل زاوية.. كان هناك خطر ينذر بفاجعة.. كان هناك خطر قادم من مكة.. يطفح بالغل والثأر. أتذكرون ذلك الشيخ الذي نهض من بين جثث أحد، ثم توجه نحو مكة نازفاً؟ ها هو يعود، ولكن لوحده هذه المرة، فقد ألمه ما حدث في بدر، وما أصابه في أحد.

الشيخ يتسلل لاغتياال النبي ﷺ

أنس بن مالك كما حدثنا عن الحجاب من قبل يحدثنا الآن عن قصة هذا القادم، الذي حمله حقه وثأره نحو النبي ﷺ، ليسجل له التاريخ حادثة تهز الجزيرة من البحر إلى البحر.

يقول أنس: (كان وهب بن عمير شهد أحداً كافراً، فأصابته جراحة، فكان في القتلى، فمرّ به رجل من الأنصار، فعرفه، فوضع سيفه في بطنه حتى خرج من ظهره، ثم تركه، فلما دخل الليل وأصابه البرد لحق بمكة، فبرأ، فاجتمع هو وصفوان بن أمية في الحجر، فقال وهب: لولا عيالي ودين عليّ، لأحببت أن أكون أنا الذي أقتل محمداً، فقال له صفوان: فكيف تصنع؟

فقال: أنا رجل جواد لا ألحق، آتية فأغتره، ثم أضربه بالسيف، فألحق بالخيال، ولا يلحقني أحد.

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٧٩٢) ومسلم (١٤٢٨) واللفظ له.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٥٩.

فقال له صفوان: فعيالك مع عيالي، ودينك عليّ، فخرج يشحذ سيفه وسمه، ثم خرج إلى المدينة، لا يريد إلاّ قتل النبي ﷺ، فلما قدم المدينة رآه عمر بن الخطاب، فهاله ذلك، وشقّ عليه، فقال لأصحاب النبي ﷺ: إنني رأيت وهباً، فرابني قدومه، وهو رجل غادر، فأطيفوا ببيكم^(١).

فأطاف المسلمون بالنبي ﷺ، فجاء وهب، فوقف على النبي ﷺ، فقال: أنعم صباحاً يا محمد. قال ﷺ: قد أبدلنا الله خيراً منها^(٢). قال: عهدي بك تتحدّث بها وأنت معجب.

فقال له النبي ﷺ: ما أقدمك؟ قال: جئت أفدي أساراكم.

قال ﷺ: ما بال سيف؟ قال: أما إننا قد حملناها يوم بدر فلم نفلح ولم ننجح.

قال ﷺ: فما شيء قلت لصفوان في الحجر: لولا عيالي ودين عليّ لكنت أنا الذي أقتل محمداً بنفسي. فأخبره النبي ﷺ خبره. فقال وهب: هاه.. كيف قلت؟ فأعاد عليه.

قال وهب: قد كنت تخبرنا خبر أهل الأرض، فنكذبك، فأراك تخبر خبر أهل السماء «أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنت رسول الله». قال: يا رسول الله، أعطني عمامتك، فأعطاه النبي ﷺ عمامته، ثم خرج إلى مكة.

فقال عمر رضي الله عنه: لقد قدم وإنه لأبغض إليّ من الخنزير، ثم رجع وهو أحبّ إليّ من بعض ولدي^(٣).

قال عمر ذلك لأنه لا يملك قلبه.. لقد أهداه إلى أحب الخلق إليه، بعد أن أهداه إلى خالقه. قلب عمر ليس ملكاً لعمر، ولذلك أحب وهباً بعد أن كان كالخنزير أمامه.

متى أهدى عمر قلبه

أهدى عمر قلبه عندما كان يمشي مع حبيبه ﷺ يحمله الشوق.. يحمله الحب، فالتفت نحو ذلك الحبيب فباح له بحب عظيم. يحدثنا الصحابي عبد الله بن هشام

(١) أي كونوا حوله.

(٢) يعني تحية الإسلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(٣) سنده قوي وقد مر معنا تحت عنوان: شبح على أرض أحد.

عن ذلك فيقول: (كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي).

فقال النبي ﷺ: لا، والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك. فقال له عمر: فإنه الآن. والله لأنت أحب إلي من نفسي. فقال النبي ﷺ: الآن يا عمر^(١).

تنازل عمر عن قلبه وعن نفسه، فتماهى هواه وقلبه بحب الله ورسوله، فعاش عمر مأخوذاً بمراد الله ورسوله ﷺ.

دعوني أحدثكم عن الحب

دعوني أحدثكم عن رجل كان يدخل البهجة على رسول الله ﷺ.. كان يضحكه. أتى به إلى النبي ﷺ وهو سكران، حيث شرب الخمرة التي لعن شاربها، وعاصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وبائعها، ومشتريها، وأكل ثمنها، ومعتصرها، وساقبها، ولعنت هي قبل ذلك.

افتتن هذا الرجل بحب الخمر قبل تحريمها، فلما نزل حكمها حاول تركها فلم يستطع، ونزلت عقوبتها فشرب وسكر فخرج وعوقب، ثم سكر ثانية فعوقب. ورغم أن للخمر ذنبا من الوزن الثقيل والكبير، إلا أن للقلوب والمشاعر تجاه الله ورسوله عليه السلام أوزانا أثقل، فقد نال جزاءه ونفذ عليه السلام حكم الله فيه، لكنه لم يبعده، ولم يهجره، ولم يعبس في وجهه، أو يسبه، ولم يطرده من قلبه، بل أحبه.. أجل أحبه، وحرص على حبه!

ذات يوم أتى به سكراناً، فطبق الحد عليه، فرآه أحد الصحابة رضي الله عنهم، فغضب من تكراره وقال: (اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به)^(٢) فالتفت عليه السلام لذلك اللاعن وأنكر عليه، وقال له كلمات تكشف عوالم الحب داخل ذلك الرجل المدمن.

قال عليه السلام: (لا تلعنوه، فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله)^(٣) لكن هواه غلبه فهوى، والإسلام لا يلغي نقاط الضعف لدى الإنسان ولا يتجاهلها، لكنه لا

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٦٦٢٢).

(٢) صحيح البخاري (٦٧٨٠).

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٦٧٨٠).

يبالغ في وصفها ووصف المعاناة منها . الإسلام يقف أمامها ريثما يرفع ذلك المنحدر عنها .. ريثما يضمد جراحه وعواطفه من سنانها ، ثم ينفض فيه من جديد حب الانطلاق والتجديد والتشييد .

ذات مرة شرب (فقال بعض القوم: أخزأك الله . قال رسول الله ﷺ: لا تقولوا هكذا، لا تعينوا عليه الشيطان، ولكن قولوا رحمك الله)^(١) كان عليه السلام وفياً .. كان حانياً يعرف أن صحابته ليسوا ملائكة، لذا فهو ينظر إلى المناطق الخصبة فيهم .. يمطرها بالحب فتهتز ربيعاً أخاذاً .

لكن ماذا لدى شارب الخمر الفقير المعدم هذا من مساحات خصبة حتى يحتفي به عليه السلام؟

كان لديه الحب لله ولرسوله .. حب يشرق في قلبه وينسرب في أعماقه، لذا بادله عليه السلام بحب أجمل، فتحول ذلك الصحابي المحب إلى راسم للبسمات على ثغر محمد الجميل، حتى أغرته ابتسامات نبيه وضحكاته إلى حد تدبير المقابل له، فكان عليه السلام يشرب مقالبه كالماء البارد .

أتحبون أن تعرفوا إحدى مقالبه؟

كان يذهب لدكاكين المدينة، فيستلف منهم الطعام، ثم يأخذه إلى بيت أحب الناس إليه .. إلى بيت محمد الذي لم يعنفه يوماً، ولم يكشرف في وجهه، أو يعيره بذنبه، أو يسخر منه، فيهديه تلك الهدية، فيقبلها عليه السلام منه، وتمر الأيام، فيراه التاجر فيمسك بتلابيبه، ويطلب منه سداد ديونه التي كثرت، فيهون من الأمر، ويأخذه ليسدد له، فيأتي المقلب كما يرويه عمر بن الخطاب الذي يقول أن الرجل: (كان يهدي لرسول الله ﷺ العكة من السمّن، والعكة من العسل، فإذا جاء صاحبها يتقاضاه جاء به إلى رسول الله ﷺ فيقول: يا رسول الله أعط هذا ثمن متاعه . فما يزيد رسول الله ﷺ أن يبتسم، ويأمر به فيعطى)^(٢)

(١) حديث صحيح رواه البخاري ٦-٢٤٨٨ وأحمد ٢-٢٩٩ واللفظ له .

(٢) سنده حسن رواه أبو يعلى ١-١٦١ حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا أبي حدثنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر . أسلم مخضرم وابنه ثقة وعبد الله وابنه ثقات أما هشام فصدوق له أوهام وهو من رجال مسلم التقريب ٥٧٢ .

هذا هو نبينا لمن أراد أن يتأمله ويتأمل جماله وسعة صدره ورقفه وأفقه، فلسنا أحرص على دينه ولا على أمته منه، ولسنا أكثر تأثيراً منه، وليس لدينا مدن ملائكة، وليست مفاتيح الجنة والنار بأيدينا. ما أجمل أن نحب الله ورسوله أكثر من أي شيء وإن كنا مقصرين.. ما أروع أن نرفض الإساءة لهما. ما أجمل أن نكون مثل ذلك الرجل الذي أخرجته قلبه من بيته.. أخرجته حب لم يقو على كتمانها، فحلق به حبه أبعد مما يأمل.. أبعد مما يحلم عندما باح به وقال لنبيه: (متى الساعة؟ قال عليه السلام: وماذا أعددت لها؟ قال: لا شيء إلا أنني أحب الله ورسوله. فقال: أنت مع من أحببت. قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: أنت مع من أحببت. قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم)^(١)

هذا هو الحب في الله، وهذا هو الحب في الإسلام، وهذه هي الرحمة عند المؤمن الذي يحب الله ورسوله.. هذه هي العلاقة الحقة بين المؤمنين، ف:

تعالوا أحدثكم عن الحب والرحمة

في قصة أشد تأثيراً على النفوس.. قصة قال فيها النبي ﷺ:

يا هزال لو سترته بثوبك

ها هو ابن هزال.. حدثنا يا نعيم ما ذلك الشيء الذي تمنى ﷺ لو ستره والدك بثوبه، أو من هو؟

قال نعيم رضي الله عنه: (كان ماعز بن مالك في حجر أبي، فأصاب جارية من الحي، فقال له أبي: أتت رسول الله ﷺ فأخبره بما صنعت لعله يستغفر لك - وإنما يريد بذلك رجاء أن يكون له مخرج، فاتاه، فقال: يا رسول الله إنني زنيت فأقم عليّ كتاب الله «يا رسول الله طهرني».

فقال: ويحك ارجع، فاستغفر الله وتب إليه.

فرجع غير بعيد ثم جاء، فقال: يا رسول الله طهرني.

(١) صحيح البخاري ١٣٤٩-٣.

فقال رسول الله ﷺ: ويحك ارجع، فاستغفر الله وتب إليه.

فرجع غير بعيد، ثم جاء فقال: يا رسول الله طهرني.

فقال النبي ﷺ مثل ذلك، حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله ﷺ: إنك قد قلتها أربع مرات، فيمن؟ قال: بفلانة. «فسأل رسول الله ﷺ: أبة جنون؟ فأخبر أنه ليس بمجنون. فقال: أشرب خمرًا؟ فقام رجل فاستكبه»^(١)، فلم يجد منه ريح خمر».

قال ﷺ: هل ضاجعتها؟ قال: نعم، قال: هل باشرتھا؟ قال: نعم. قال: هل جامعتها؟ قال: نعم [قال ﷺ: فهل أحصنت؟^(٢) قال: نعم] فأمر به أن يرجم، فلما رجم، فوجد مسّ الحجارة جزع، فخرج يشدّ^(٣) «واشددنا خلفه» فلقية عبد الله بن أنيس وقد أعجز أصحابه، فنزع له بوظيف بعير^(٤) فرماه به، فقتله، ثم أتى النبي ﷺ، فذكر ذلك له.

فقال: هلاً تركتموه، لعله يتوب، فيتوب الله عليه. «فكان الناس فيه فرقتين: قائل يقول: لقد هلك، لقد أحاطت به خطيئته.

وقائل يقول: ما توبة أفضل من توبة ماعز، إنه جاء إلى النبي ﷺ، فوضع يده في يده، ثم قال: اقتلني بالحجارة.

فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة، ثم جاء رسول الله ﷺ وهم جلوس، فسلم، ثم جلس، فقال: استغفروا لماعز بن مالك، فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك. فقال رسول الله ﷺ: لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم»^(٥).

لله حدود يجب تنفيذها دون مجاملة أو مداينة، وللنبي ﷺ حدود لا يستطيع تجاوزها. فتح ﷺ لماعز أكثر من عشرة أبواب.. أشرعها ليهرب منها، لكنه أصرّ على تنفيذ حدّ الله فيه.

(١) أي شمه.

(٢) بالنزواج.

(٣) أي أصيب بالفرع وأحس بالألم ركض هارباً.

(٤) عظم الساق أو الذراع.

(٥) سنده صحيح رواه أحمد ٥-٢١٧ وأبو داود ٤٤١٩ من طريق: وكيع حدثنا هشام بن سعد أخبرني يزيد بن نعيم بن هزال عن أبيه. وما بين الأقواس لمسلم، وما بين المعقوفين للبخاري. نعيم صحابي وابنه مقبول والصواب أنه صدوق من رجال مسلم وثقه العجلي. ولا أدري لماذا ضعف الإمام الألباني كلمة لعله أن يتوب، وهي من هذا السند.

فعل ﷺ ما يمكنه أن يفعله لماعز، ثم نفذ حكم الله فيه، لكن ما زال في صدر النبي ﷺ لماعز الكثير الكثير.

توجه ﷺ بحديثه نحو الرجل الذي أشار على ماعز بالاعتراف، فهل شكره على فعله ذلك؟..

الإجابة رحمةً كالعادة، فما محمد ﷺ إلا رحمة مهداة. التفت ﷺ بحديثه إلى هزال معاتباً، وقال له كلمة كالحزن: (يا هزال لو كنت سترته بثوبك كان خيراً مما صنعت به)^(١) (لو كنت سترته بثوبك كان خيراً لك)^(٢)

لم يقل ﷺ: لو سترته بثوبك لكان خيراً لماعز رضي الله عنه، بل قال: خيراً لك أنت يا هزال.. أنت أيها المبلغ، ولك أنت أيضاً أيها المتلذذ بفضح المستترين بدعوى الغضب لله ورسوله.

أما من أراد أن يمنح لنفسه حق اختراق جدران الآخرين وحرمتهم المستورة، فإن عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما يقدمان له درساً في التحضر بالإسلام.

يقول (عبد الرحمن بن عوف: أنه حرس ليلة مع عمر بن الخطاب، فبينما هم يمشون، شب لهم سراج في بيت، فانطلقوا يؤمنونه، حتى إذا دنوا منه، إذا باب مجاف على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة ولغط، فقال عمر - وأخذ بيد عبد الرحمن بن عوف: أتدري بيت من هذا؟ قلت: لا قال: «هذا بيت» ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن شرب فما ترى؟

قال عبد الرحمن بن عوف: أرى أنا قد أتينا ما نهانا الله «عنه قال الله تعالى»:

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾. فقد تجسسنا.

فانصرف عنهم عمر وتركهم)^(٣)

(١) سنده صحيح رواه أحمد (٢١٧/٥) وأبو داود (٤٤١٩) وهو الحديث السابق.

(٢) صحيح الجامع الصغير (١٢٢٣/٢).

(٣) سنده صحيح رواه عبد الرزاق ١٠-٢٣١ والبيهقي ٨-٢٣٢ وابن حبان في الثقات ٤-٢٦٧ والحاكم ٤-٤١٩ عن الزهري حدثنا زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف عن المسور بن مخرمة أخبره عبد الرحمن. وزرارة تابعي ثقة، والمسور صحابي.

لكن كم هو حجم ذلك الخير الذي يحصل عليه من ستر على مسلم وحافظ على نقاء صورته أمام المجتمع؟..

قال عليه السلام: (من ستر أخاه المسلم ستره الله في الدنيا والآخرة)^(١) ولما (أتي ابن مسعود فقيل: هذا فلان تقطر لحيته خمراً. فقال عبد الله: إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به)^(٢) لـ (أن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم)^(٣) والإسلام لا يريد إفسادهم، ولا أذيتهم.

هذه بعض حقوق الإنسان - أي إنسان - في الإسلام.. دمه، وماله، وعرضه مكفولة الحماية، بل إن الدهشة لتسافر بالمرء عندما يعلم فداحة الجرم الذي يرتكبه أولئك السابحون في أعراض إخوانهم.. المنقبون عن عيوب الناس لينشروها. إليك هذه:

المقارنة بين العرض وغيره

قال ﷺ في قليل الربا: (درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشدّ عند الله من ستة وثلاثين زنية)^(٤).

وقال في أقلّ الربا: (أهون الربا كالذي ينكح أمّه)^(٥).

ترى ما الذنب الذي يعادل أشدّ الربا إذا كان أهونه يعادل ذلك الفعل الشنيع والجريمة القذرة..؟

الإجابة التي تذهل المسلم هي في قول النبي ﷺ: (أربنى الربا شتم الأعراس)^(٦) (أربنى الربا استطالة المرء في عرض أخيه)^(٧).

-
- (١) حديث صحيح رواه البخاري ومسلم وابن حبان (٥٣٤) واللفظ له.
 - (٢) حديث صحيح رواه أبو داود (٤٨٩٠) وغيره من طرق عن الأعمش عن زيد بن وهب قال: قيل لابن مسعود. زيد ثقة مخضرم، والحديث صححه الإمام الألباني ١-٢٧٧.
 - (٣) حديث حسن رواه أبو داود ٤٨٨٩ وغيره عن إسماعيل بن عياش وهو صحيح الرواية عن أهل بلده عن ضمضم بن زرعة وهو حمصي حديث، عن شريح بن عبيد وهو حمصي تابعي ثقة عن صحابيين وهو لم يسمع منهما وعن مخضرمين وتابعي كبير. لكن له شاهد عند البخاري في الأدب (٢٤٨).
 - (٤) صحيح الجامع (٦٢٦).
 - (٥) حديث صحيح.. صحيح الجامع (٤٩٦).
 - (٦) حديث صحيح.. صحيح الجامع (٢١٢).
 - (٧) حديث صحيح.. صحيح الجامع (٤٩٦).

فلنعد إلى أقدس الأعراض والدماء.. عرض محمد ﷺ ودمه، الذي كان وهب بن عمير قبل قليل يريد نثره على طرقات المدينة، لكنه عاد إلى مكة بغير القلب الذي جاء به.. عاد إلى مكة يحمل الحب والإيمان وعمامة النبي ﷺ.

عاد وهب مسلماً، لكن فعله قبل أن يسلم أثار لدى النبي ﷺ وأصحابه حالة اليقظة والحذر، فقد يكون هناك أكثر من مشروع لتصفية النبي ﷺ جسدياً. وقد صدق التوقع، وأفاد الحذر، حيث تسرّبت الأخبار إلى النبي ﷺ عن خطر قادم من جهة مكة، لكنه ليس من قريش،

خطر قادم من قبيلة بني المصطلق

وينو المصطلق قبيلة عربية تسكن قرب مكة، في المنطقة الواقعة ما بين مكة والمدينة، وقد أراد ﷺ استغلال واستثمار الوقت بمفاجأة تلك القبيلة قبل أن تتحرك ويتكامل استعدادها.. أراد ﷺ أن يباغتها بضربة سريعة تشلّها، لأن أي تأخير قد يضاعف من خطرها، وذلك لقربها من عدو النبي ﷺ الأول «قبيلة قريش».

أي تأخير يعني مزيداً من الأعوان والعتاد والخطر، فمباغته ذلك الجيش الوثني وهو مسترخ على أرضه.. هو أسرع الطرق وأيسرها للقضاء عليه وإراحة المدينة من خطره. فاستعد ﷺ بجيش قوي ل:

غزو بني المصطلق

وقد انضمّ إلى هذا الجيش مجموعة من المنافقين.. على رأسهم كبير المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول -ربما- لشعوره بقوة جيش النبي ﷺ، وتأكده من هزيمة بني المصطلق.

وقبل أن ينطلق النبي ﷺ بجيشه ذلك أقرع بين سودة وعائشة وأم سلمة، وزينب، لتصحبه إحداهن في رحلته تلك، فالنبي ﷺ (كان إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه)^(١).

(١) حديث صحيح رواه الشيخان رحمهما الله وسيأتي بقيته.